مخطوط: جلاء الظلام عن طريقة الأولياء الكرام لابن زاغو التلمساني (ت 845هـ/1441م) صورة من واقع الجدل بين المتصوفة والفقهاء بالمغرب الأوسط.

Manuscript: jala' alzalam ean tariqat al'awlia' alkiram of Ibn Zagho Tlemceni (d. 845 AH / 1441 CE) A model of the Conflict between Sufis and jurists in the Maghreb central

د/ زاوي بوبكر *

[1] قسم التاريخ، جامعة تلمسان

تاريخ الاستلام: 2022/05/07 تاريخ القبول: 2022/06/07 تاريخ النشر: 2022/10/08

ملخص:

تحاول هذه المساهمة تسليط الضوء بالدراسة والتحليل على مصدر هام من مصادر التصوف بالمغرب الأوسط، وهو مخطوط: جلاء الظلام عن طريقة الأولياء الكرام لابن زاغو التلمساني (ت 845هـ/1441م)، وهو المصدر الذي نعمل على تحقيقه وإخراجه علميا، كإضافة للمكتبة التاريخية والدينية الجزائرية، ومن خلال التعريف به نسعى إلى دراسة موضوع الاجتماع للذكر عند المتصوفة وما أثاره من نقاش وجدل فقهي بين تيارين متباينين: تيار الفقهاء المتصوفة، وتيار الفقهاء السلفيين، وهو ما حفظه لنا النص المخطوط ، والمدونات النوازلية.

كلمات مفتاحية: جلاء الظلام. الاجتماع للذكر.، المتصوفة. الفقهاء.، المغرب الأوسط.

Abstract:

This contribution attempts to study an important source of Sufism in the maghreb central, It is a manuscript**:** jala' alzalam ean tariqat al'awlia' alkiram Ibn Zagu Tlemceni (d 845 AH / 1441 CE) ,It is the source that we are working on printing as an addition to the Algerian Historical and Religious Library, By introducing him We study some ritual Sufism For example: meeting Seeking forgiveness When the Sufis And I sorted out two parts**:** Salafi jurists and Sufi jurists

Keywords: jala' alzalam ;the meeting to aldhikr; Sufis;Jurists; Maghreb central.

*

1. مقدمة:

عدّ ابن خلدون التصوف من العلوم الحادثة في الأمة، وهو حسبه:" الاعتكاف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها"[1]، ويجمع المتصوفة على أن النموذج الصوفي يجب أن يُلتمس في زمن النبي عليه الصلاة والسلام، فالصحابة والسلف الصالح هم قدوة للمتصوفة في الزهد والعفة والورع والخلق[2]، فهم بذلك يستمدون مرجعيتهم إلى المراحل الباكرة من تاريخ الإسلام، وقد انتشر هذا التيار في مشرق العالم الإسلامي ومغربه، ومن أبرز أعلام هذا التيار ومنظريه الحارث المحاسبي (ت 243هـ/858م)وسيد الطائفة "الجنيد"(ت297هـ/910م)، والقشيري(ت 465هـ/1073م) صاحب الرسالة القشيرية المشهورة في موضوعها، و أبو حامد الغزالي (ت 505هـ/1112م)، وغير ذلك كثير من أعلام الأمة الإسلامية.

والغرب الإسلامي باعتباره يمثل امتدادا طبيعا لبلاد المشرق، شهد هو الآخر بروز هذا التيار شيئا فشيئا منذ القرون الأولى لدخول الإسلام،خاصة مع منتصف القرن الرابع هجري 10م،كحركة زهد خاصة مع نشاط حركة المرابطة على الثغور لمواجهة الأخطار التي تهدد بلاد المغرب من النورمان والفرنجة خاصة على سواحل إفريقية حيث أهم الحواضر آنذاك، ،اتسع ليشمل مختلف حواضر المغرب، خاصة على عهد المرابطين والموحدين بعدهم، و تبلور كتيار ديني له أسسه وقواعده، وبرز في خضم ذلك كله عدد من العلماء المتصوفة كأبو مدين شعيب و عبد الحق الإشبيلي وابن سبعين و محمد بن سليمان الجزولي وقاسم العقباني وغيرهم كثير ، وتموقع التصوف بذلك ضمن الخريطة الدينية في المجتمعات المغربية.

والمغرب الأوسط كجزء أصيل من بلاد الغرب الإسلامي شهد هو الأخر بروز تيارات دينية، ومذاهب فقهية متعددة، ساهمت بشكل أو بآخر في تنشيط الحركة الثقافية، خاصة على مستوى الخطاب الديني الذي تجلى في حركة الفتاوى و التدوين العقيدي والفقهي وماتعلق بالتزكية السلوك، ومن أبرزت تلك التيارات نجد المتصوفة الذين تعاظم دورهم ووجودهم المجتمعي،في حواضره وبواديه، وشكلوا فئة مميزة ضمن الجماعات الدينية الموجودة به، وقد كانت الشعائر الممارسة من قبلهم،كالاحتفال بالمولد النبوي والاجتماع للذكر، وقراءة الحزب الراتب، فرصة لتنشيط النقاش الفكري التي بقيت لنا بعض آثاره في

[1]- ابن خلدون، 2010، ص 403.

[2]- الحسن الشاهدي، 2006، ص 21

مدونات الفتاوى والنوازل، أو في مصادر التصوف المطبوعة والمخطوطة، أو حتى ضمن الموسوعات التاريخية الكلاسيكية.

ومن هذه الزاوية تحاول هذه المساهمة تسليط الضوء على مخطوط هام من مصادر التصوف بتلمسان خلال القرن التاسع هجري/ 15م، وهو مخطوط: جلاء الظلام عن طريقة الأولياء الكرام ومن شاركهم في أعمالهم من العوام والخواص"[1] لابن زاغو التلمساني المتوفي سنة (ت 845هـ/ 1441م)، الذي يلقي الضوء على جانب من هذا النقاش المشار إليه أعلاه، خاصة ما تعلق بالاجتماع للذكر الذي يُقيمه المتصوفة وما يلحق به من عوائد وطقوس أثارت موجة من الرفض لدى لفيف واسع من الفقهاء بتلمسان، وامتدت لتشمل بلاد المغارب كلها.

2. التعريف بالمؤلف:

يعد الشيخ أبو العباس بن أحمد بن زاغو سليل أسرة عريقة بتلمسان، أنجبت عددا من العلماء والفقهاء الذين ازدانت بهم سمائها،وأسهموا مساهمة كبيرة في الحركية العلمية والثقافية التي شهدتها خلال القرون الثلاثة الأخيرة من العصر الوسيط،يقول القلصادي في هذا الصدد: "له نسب أشهر من الشمس في السماء، وحسب كاتساق عقد النجوم في بحر الظلماء"[2]، فهو ينتسب إلى قبيلة مغراوة[3] البربرية، التي سكنت المغرب الأوسط مابين تلمسان إلى الشلف إلى جبل مدبولة[مديونة][4] وقد استقرت بتلمسان في حدود النصف الثاني من القرن الثاني هجري/08م، وهو تاريخ بروز هذه القبيلة على مسرح الأحداث بانتقال الزعامة والسيادة لها برئاسة محمد بن خزر بن صولات المغراوي[5]،وقد أصبحت هذه العائلة حسب توصيف ابن مرزوق الخطيب:" من كبار بيتات تلمسان القدامى، أهل علم ورياسة،وخطط مرعية"[6]، على

---

[1]- المخطوط تحت الطبع بتحقيق الباحث.

[2]- القلصادي، 1978، ص 103.

[3]- قال عنها ابن خلدون: هؤلاء القبائل من مغراوة كانوا أوسع بطون زناتة وأهل البأس والغب منها، ونسبهم إلى مغراو بن يصليتن بن مسر بن زاكيا بن ورسيك بن ألديرت بن جانا إخوة بنو يفرن وبني يريان،...أما شعوبهم وبطونهم فكثير مثل بني يلث وبني زنداك وبني رواو ورنزمير وبني أبي سعيد وبني ورميغان والأغواط وبني ريغة، " وإلى هذه القبيلة ينتسب صولات بن وزمار التي يقال أنه وفد على سيدنا عثمان بن عفان بالمدينة المنورة معلنا إسلامه في مرحلة باكرة من تاريخ الإسلام ببلاد المغرب، ينظر: ابن خلدون، العبر 2000، ج07،ص 34،33.

[4]- ابن خلدون، المصدر نفسه،ج07،ص 33،بسام كامل عبد الرزاق شقدان، ،2002، ص 139

[5]- ابن خلدون، 2000، ج07، ص 33، نصر الدين بن داود، 2015، ص 178.

[6]- ابن مرزوق الخطيب،2008، ص 223

أن أول ظهور لأفراد هذه العائلة كان خلال القرن السابع هجري/13م ، فقد ورد في المناقب لابن مرزوق الخطيب ذكر لشخصية تنتسب لهذا البيت ألا وهي شخصية" أبو زيد عبد الرحمن يوسف بن علي بن زاغ" الذي كان صديقا لوالد ابن مرزوق الخطيب من الذين تربطهم علاقات ودية معه، يقول ابن مرزوق في هذا الصدد:" وكان أبو زيد هذا، فاضلا دينا، كنت أبيت عنده عدة ليال،فوالله ما أراه ينام الليل إلا يسيرا، غلبة، ثم يقوم صواما تاليا متحفظا، وكان صديق والدي ومعاشره"[1]

وقد تلقى ابن زاغو تكوينه العلمي على يد مشايخ تلمسان، و حفظت لنا النصوص المصدرية أسماء شيخين من شيوخها أخذ عنهم المترجم له، وهما :

* سعيد العقباني:

من كبار علماء تلمسان ، هو الآخر سليل أسرة علمية كبيرة ترجع أصولها إلى مدينة عقبان الأندلسية كانت قد نزحت من الأندلس إلى تلمسان، أخذ عن لفيف من العلماء سواء بتلمسان أو بفاس أو بتونس، فبتلمسان أخذ عن ابن الإمام الفقه المالكي، وأخذ الأصول عن الآبلي (ت757هـ/1356م)' كما تتلمذ على يد الإمام السطي(ت749هـ/1348م) بفاس المغربية،فأخذ وتمكن من علم الفرائض، كما ارتحل إلى تونس وهناك جلس لمدارسة النحو واللغة على يد شيخها ابن عبد السلام (ت749هـ/1348م)[2]

* عبد الرحمن الشريف(ت 826هـ/1422م):

الذي يعتبر هو الآخر سليل بيت عريق معروف بتلمسان وهو بيت آل الشريف الذي يرتفع نسبه إلى سيدنا إدريس الاكبر باني مدينة فاس،وهو حفيد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو من مواليد مدينة فاس، غير أنه نشأ بتلمسان،وفيها تعلم وتفقه خاصة على يد والده أبو عبد الله الشريف(ت771هـ/1369م)، وكان من أولئك الذين تمكنوا من المنقول والمعقول[3].

---

[1]- ابن مرزوق الخطيب، 2008، ص 223.

[2]- نصر الدين بن داود، 2015ص ص 112،111.

[3]- ينظر حول الإسهام العلمي لمؤسس البيت وأبناءه مداخلة أ د بن داود نصر الدين وزاوي بوبكر الموسومة ب إسهام أبو عبد الله الشريف في الحركة العلمية ببلاد المغرب من خلال مخطوط: مناقب أبي عبد الله الشريف وولديه عبد الله الغريق والولي الصالح سيدي أبي يحي عبد الرحمن لمؤلفه سيدي أحمد ولد سيدي أبي يحي بن أبي عبد الله، أعمال ملتقى البيوتات العلمية بتلمسان الزيانية:

وعرف عن ابن زاغو سلوكه مسلك التصوف والزهد في الدنيا وملذاتها، نستند في ذلك إلى شهادة تلميذه الوفي أبو الحسن القلصادي الذي يقول عنه:" قدم راسخة في التصوف، مع الذوق السليم والفهم المستقيم، وبه يضرب المثل في الزهد والعبادة، وعند كلامه تقف الفتيا في الأذكار والإرادة ،مقبل على الآخرة معرض عن الدنيا، عار عن زخرفها، إلا ما يتخذه من ثوب حسن أو هيئة فيها جمال، أكرمه المولى بتلاوة القرآن، وشرفه بملازمة قراءة العلم والتصنيف والتدريس والتأليف،... مع إيثاره الخلوة، وإجابة الدعوة"[1] ومن نظمه الذي يدل على ذلك قوله:

رَأَيْتُ الانْقبَاضَ أَجلَّ شَيْء وأَدْعَى في الأُمُور إلىَ السَلامَة
فَهَذَا الخَلقُ سَالمُهُمْ ودَعْهُم فَخُلْطَتُهُمْ تَقُودُ إلىَ النَدَامَة
ولا تَعْــني بشَيْء غَيْر شــيء يَقُودُ إلَى خَلاَصكَ في القيَامَة
أَنَسْتُ بوحْدتي ولَزِمْتُ بَيْتِي فَدَامَ الأُنْسُ لي ونَمَا السُرُورُ
وأَدَبَني الزَّمَــانُ فَــمَا أُبَــالي هَجَرْتُ فَلاَ أُزَارُ ولَا أَزُورُ
وَلَسْتُ بسَائل ما دُمْتُ حيًّا أَسَارَ الجُنْدُ أَمْ رَكبَ الأَميرُ[2]

و قد كان للمترجم له إسهام في حركة التأليف في عدة مجالات، ومن ذلك :

أ/ التفسير:مقدمة في التفسير[3]، التذييل في ختم التفسير[4]، تفسير سورة الفاتحة في غاية الحسن كثير الفوائد[5].

ب/ الفقه(الفرائض): شرح التلمسانية في الفرائض: وسمى شرحه هذا "منتهى التوضيح في عمل الفرائض من الواحد الصحيح[6]، وقد نوّه الزركشي بقيمة هذا الشرح مبينا أنه "استوفى فيه طريق القرشي بالكسور، واستنبط فيها أشياء ظهرت له لم يسبق إليها"[1]

بيت الشريف وإسهاماته الحضارية، قسم التاريخ والمتحف العمومي الوطني للفن والتاريخ لمدينة تلمسان، وزارة الثقافة الوطنية، 2018، ص 317.

[1]- القلصادي، 1978 ص 103.

[2]- القلصادي،1978 ص ص ، 104،105.

[3]- القلصادي، 1978، ص 103

[4]- القلصادي، 1978، ص 103

[5]- يراجع : القلصادي، 1978، ص ص 103، التنبكتي، 2004، ج01،ص 123، أمحمد بوشريط، 2017/2016، ص ص 133،134

[6]- القلصادي، 1978، ص 103

ج/ التصوف: جلاء الظلام عن طريقة الأولياء الكرام ومن شاركهم في شيء من أعمالهم من الخواص والعوام، وهو موضوع هذه المساهمة.

3. التعريف بمخطوط جلاء الظلام:

المخطوط موضوع الدراسة رصيد الخزانة الحسنية بالرباط بالمملكة المغربية ، وهو يقع ضمن مجموع، يبتدأ من الورقة 43 ظهر[2] وينتهي بالورقة 75 ظهر، وهو تحت رقم حفظ: 122343[3]

1.3 وصف المخطوط ومحتواه العلمي:

*** تاريخ التأليف:**

لايوجد على المخطوط أي إشارة يحدد تاريخ تأليف الكتاب بالضبط، على أن إشارة وردت في المتن جعلتنا نرجح أن تاريخ تأليفه يمكن أن يكون مابين سنة 826هـ/1442م، وسنة 845هـ/1439م وهي سنة وفاة المؤلف حيث ذكر المؤلف شيخه عبد الرحمن أبي يحي الشريف مترحمًا عليه وقد توفي رحمه الله في سنة 826هـ/1442م يقول ابن زاغو:" ولله در شيخنا الإمام المحقق العارف السيد أبي يحي الشريف **برد الله ضريحه** إذ سئل عن رجل كبير اشتهر بالولاية في زمانه، وكان قد رآه وامتحنه فقال للسائل: الحكم عليهم ولكن أصف لك ما رأيت و احكم أنت لنفسك""[4] وبالتالي فتاريخ التأليف لا شك أنه بعد سنة وفاة أبي يحي عبد الرحمن الشريف.

*** نوع الخط:** خط مغربي جيد.

*** الناسخ:** أحمد بن عاشر بن عبد الرحمان الحافي:العلاّمة الأديب المؤرخ من علماء سلا العارفين بأخبارها،أخذ عن عدد من الفقهاء والعلماء، وله كنّاشة ذكر فيها عددا من شيوخه بخزانة الكتاني ثلاث كراريس منها[5]، ذكر فيها علماء عصره إلى غاية سنة 1141هـ/1728م [1]،وله كتاب " تحفة الزائر في

---

[1]- الزركشي،1966 ، ص 140، ويظهر لي أن منتهى التوضيح هو نفسه الشرح على التلمسانية كما بيّنا ذلك في المتن، على عكس الدكتور أحمد بوشريط الذي اعتبرهما مؤلفين منفصلين ، يراجع، أحمد بوشريط، المرجع السابق، ص 134.

[2]- بترقيم المفهرسين للمجموع.

[3]- ينظر: عمر عمور،2007، ص 132.

[4]- ورقة 73 ظهر.

[5]- عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، 1982، ج02، ص 841

ترجمة فخر سلا أبي العباس ابن عاشر"، وله هوامش وتعليقات على بعض كتب الحديث، من شيوخه أحمد بن عبد الله وأبي العباس أحمد بن عبد الحي الحلبي، وأبي مدين السوسي وغيرهم كثير، وأجازه ابن زكري الفاسي و وأبي عبد الله المسناوي وغيرهما، توفي سنة 1163هـ/ 1750م[2]،

* **تاريخ النسخ**: أوائل صفر الخير عام 1121هـ/1709م

* **المسطرة**: 20سطرا / **التعقيبة**: موجودة.

* **بداية المخطوط**:

" بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على رسولنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، قال الشيخ الإمام الصدر العلم الولي الزاهد الناسك العابد المتيقن الكامل أبو العباس سيدي أحمد بن محمد بن عبد الرحمن ابن زاغ رحمه الله وبرد ضريحه ونفعنا به آمين.

الحمد لله الذي رفع بذكره منازل الأبرار،ورقاهم إلى منازل المقربين بملازمة الأذكار،ووقاهم بأوراد الصباح والمساء من طوارف الليل والنهار، وفتح لهم أبواب من المعارف والأسرار، وغشي مجالسهم بسواطع الأنوار، وباهى بحلق أهله ملائكته الأخيار وأخلص المخلصين منهم بخالصة ذكرى الدار"

* **نهاية المخطوط**:

" انتهى بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل ويمنه، على يد أفقر الورى طرا المرتجي مغفرة مولاه،عبيد ربه أحمد بن عاشر بن المرحوم بكرم الله تعالى عبد الرحمن الحافي أخذ الله بيده وستر عيوبه بحوله، إنه ولي ذلك والقادر عليه وفي أوائل صفر الخير عام واحد وعشرين ومائة وألف، وصلى الله علي سيدنا ونبينا ومولانا محمد وآله وصحبه إلى يوم الدين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين."

2.3 تحقيق نسبة الكتاب لمؤلفه :

المصادر التي ترجمة للشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن ابن زاغو، لم تورد له مؤلفا بهذا العنوان على أن هذا لن يكون دافعا للتشكيك في صحة نسبة الكتاب لمؤلفه، فالكثير من المخطوطات المنسوبة لعلماء وفقهاء لم يتم ذكرها في تراجمهم وهذا راجع إلى عدم إطلاع المترجم على جميع إنتاج المترجم له من جهة أو أن المترجم له ألف الكتاب بعد كتابة الترجمة، وأمثلة ذلك كثيرة في تراثنا

[1]- ابن سودة، 1997،ص 215

[2]- كامل سليمان الجبوري ،2002، ج01، ص 170

العربي الإسلامي وهو مما لا يتسع المقام للتفصيل فيها، فضلا عن ذلك فإن ما يدفعنا لترجيح نسبة الكتاب لمؤلفه هو الناسخ الذي قدمته المضان التي ترجمت له على أنه عالم وفقيه وإخباري ثقة، وإن كان الأمر كذلك فاحتمال وهمه وخطأه في نسبة كتاب مثل هذا لصاحبه ضئيلة جدا، فضلا عن ذلك لم نجد في حدود علمنا عنوان كهذا منسوبا لشخصية أخرى، وهو ما يزيل أي إشكال متعلق بهذه المسألة.

3.3 تحقيق عنوان الكتاب:

بيّن المؤلف رحمه الله ذلك في مطلع المقدمة التي افتتح بها كتابه هذا قائلا:"...أما بعد، فهذا **جلاء الظلام عن طريقة الأولياء الكرام ومن شاركهم في شيء من أعمالهم من الخواص والعوام**" فعنوان الكتاب واضح بيّن لا يحتاج لإثبات، وهذا ما ذهب إليه مفهرسو الخزانة الحسنية كذلك[1]

3. 4 محتوى المخطوط:

استهل المؤلف كتابه هذا بحمد الله والثناء عليه كما هي عادة المؤلفين عموما، ليقدم تعريفا بعنوان الكتاب والغرض من تأليفه، ثم وضع **مقدمة** حاول من خلالها تمهيد ذهن القارئ، وإبراز السياق الديني والفقهي الذي يحاول من خلاله تقديم هذه المساهمة حول مسألة الاجتماع للذكر، وقد تضمنت عددا من المسائل حاول التأصيل لها:

المسألة الأولى: كون الاجتماع للذكر من الفروع حيث يكفي في اثباتها ما يكفي في نظائرها من الأدلة الظنية.

المسألة الثانية: صحة الاستدلال بالأحاديث الضعيفة غير الموضوعة في باب فضائل الأعمال.

المسألة الثالثة: من لم يبلغ درجة الاجتهاد يجوز له العمل بالأحاديث الغير موضوعة في باب الفضائل من الأذكار والدعوات.

المسألة الرابعة: مسألة إيراد فقه الحديث حال شرح متون الحديث.

المسألة الخامسة: عدم مشروعية الانكار على أهل التصوف بسبب تقليدهم لمذاهب مختلفة

[1]- عمر عمور، 2007، ص 132.

ثم ختم بالتأكيد على أن ما تضمنه هذا الكتاب ليس بالضرورة متفق عليه عند علماء الأمة ولا هو قول لجمهور من أهل المذهب، وإنما هو تأصيل شرعي ومستند لمن تمسك بهذه الأعمال(الاجتماع للذكر).

ثم عقد بابا سماه:"باب في ذكر ما يؤخذ منه جواز الاجتماع على ذكر الله تعالى من كلام العلماء وما يدل على ذلك من الشريعة ": واضح من عنوان الباب أن المؤلف رحمه الله حرص على ذكر نقول متعددة من بطون الكتب تتضمن أقوال العلماء في هذا الباب، كما أتى على ذكر بعض الشواهد التاريخية من الزمن المتقدم للقيروان حيث كانت تُعقد مجالس للذكر وقراءة القرآن والملاحظ في هذا المقام أنه كان ناقلا لأقوال علماء المذهب المالكي على وَجه الخُصُوص كابن أبي زيد القيرواني، والقابسي والمازري، واللخمي، وأبو عمران الزناتي،والباجي وابن عرفة، وأبو سعيد ابن لُب وابن عبّاد الفاسي وابن رُشد وغيرهم كثير، في حين حاز الإمام النووي والقرافي الاستثناء حيث نقل عنه نقولا مُتعددة من كتابهما الحلية والقواعد

ثم بابا آخر معون ب:" باب رفع اليدين في الدُعاء في مواطن الدُعاء ومجالس الذكر وغير ذلك" أكثر المؤلف في هذا الباب في إيراد الأحاديث وأقوال العلماء التي تُؤصل لمشروعية رفع اليدين في الدعاء من جهة، ومشروعية المسح على الوجه بعد الدُعاء، وهما مسألتين فقهيتين مشهورتين أسالتا الكثير من الحبر قديما وحديث، وقد تنوعت نقول المؤلف ما بين كتب الحديث كصحيح البُخاري ومسلم وسنن أبي داود، والاستذكار لابن عبد البر وغيرها، وما بين كتب المذهب كالعُتبية والمدّونة والموطأ وغير ذلك ، ليخلُص في الأخير إلى عدم مشروعية الإنكار على من يرفع يديه حال الدُعاء أو يسمح بهما على وجهه.

ثم:" باب جامع في الاجتماع للذّكر ": حرصَ المؤلف في هذا الباب الذي ختم به مؤَلفه أن يُبين أن الغرض من الاجتماع للذكر إنما هو للتقرب إلى الله عزّ وجلّ، وأن ذلك بالضرورة يتنافى مع ماقد يلحق هذه المجالس من هزل ولغو و خوض في ما لا يُغني، وقد حرص المؤلف كما في الأبواب السابقة على إيراد النصوص الشرعية والوقائع التاريخية التي تُثبتُ جواز الاجتماع للذكر وما يلقاه المتصوفة حال ذلك من استعمال للطيب، والبُكاء والنياحة حال سماع القرآن والتسبيح، وانشاد الشعر وقراءة المواعظ والدُعاء جماعة حال اختتام المجلس وغير ذلك، وقد كان في ذلك كله ناقلا لنصوص الشرع من القرآن وكتب الحديث،فضلا عن أقوال العلماء المبثوثة في مصنفاتهم.

ثم وضع خاتمة تضمنت " نصيحة عامة للخاصة والعامة" حرص فيها رحمه الله على تنبيه القراء على ضرورة إحسان النية تجاه أعمال الفقراء الصوفية على اعتبار صفاء قلوبهم وسلامة نياتهم، كما تضمنت الدعوة إلى معاملة العلماء وأهل الصلاح بما يليق بمكانتهم، والحرص على تجنُب القدح فيهم والطعن في سندهم، وضرورة إلتماس المعاذر لهم.

5. 3 مصادر المؤلف :

تنوعت المضان التي رجع إليها المؤلف في تأليفه هذا، غير أن الميزة الغالبة على ذلك هي كونها مصادر شرعية دينية وهذا أمر طبيعي على اعتبار أنه يثناقش في كتابه هذا مسألة دينية دبَّ النقاش حولها آنذاك، وقد بيّن على وجه التحديد مصادره فقال:" ثم مع ذلك كله فإنا في هذا التقييد نعتمد بحول الله في النقل والأخذ سلفنا من العلماء المالكية ما وجدنا إلى ذلك سبيلا، ولا نلتزم نقل الخلاف إذ ليس مقصودا سرد الأقوال واستيفاء الأنقال ونضيف إلى ذلك من كلام غيرهم من العلماء ما نراه مناسبا وموافقا للمقصود ولا نلتزم نقل الخلاف إذ ليس مقصودا سرد الأقوال واستيفاء الأنقال ونضيف إلى ذلك من كلام غيرهم من العلماء ما نراه مناسبا وموافقا للمقصود، ونعتمد أيضا في الاستدلال على الأحاديث الصحيحة والحسنة معوزة إلى مخرجيها من الأئمة ، ونضيف إليها أيضا من سواها من الأحاديث المرفوعة والموقوفة ما تيسر بعون الله " ومن بين هذه المصادر التي رجع إليها نجد:

* **القرآن الكريم.**

* **كتب علوم القرآن:** أحكام القرآن لابن العربي،أحكام القرآن لابن الفرس، التبيان في آداب حملة القرآن

* **كتب الحديث وشروحه** :صحيح البُخاري، صحيح مسلم، سنن أبي داود، سنن الترمذي، صحيح ابن حبّان، إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض ،مقدمة ابن الصلاح، الإستذكار لابن عبد البر المالكي، المستدرك للحاكم،سُنن ابن ماجة،مُسند أبوعوانة، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية والسماع للقاضي عياض، شرح ابن بطال على البُخاري، تجريد الصحاح لابن رزين

* **كتب الفقه والقواعد:** الموطأ للإمام مالك، المدونة الكبرى للإمام سحنون بن سعيد التنوخي،التهذيب للبراذعي،التنبيهات المستنبطة على مافي الكتب المختلطة والمدّونة، أحكام القرآن لابن العربي، التبصرة للخمي،العتبية لمحمد العُتبي المالكي الأندلسي، النوادر لابن أبي زيد القيرواني، المنتقى

للباجي، كتاب الجامع لابن يونس، البيان والتحصيل لابن رشد، شرح الرسالة لأبي عمران الزناتي، الأنوار في الجمع بين المنتقى والاستذكار لابن زرقون المالكي الأندلسي، الفروق للقرافي،

* **كتب التصوف والرقائق والزهد:** قوت القلوب لأبو طالب المكي، الرسالة للقشيري، إحياء علوم الدي للغزالي، حلية الأذكار للنووي، الحلية لأبو نعيم، رسائل ابن عبّاد الفاسي،آداب الصُحبة لأبو عبد الرحمن السلمي

* **كتب التاريخ والتراجم:** ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام علماء مذهب مالك للقاضي عياض.

* **كتب التربية والتعليم:** الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين لأبو الحسن القابسي

* **كتب اللغة:** مُعجم العين للفراهيدي

4. ماهية الاجتماع للذكر عند المتصوفة:

تقدم لنا نصوص الأسئلة التي قدمت لشيوخ وفقهاء الغرب الإسلامي حول حكم الاجتماع للذكر صورة واضحة عن الطقوس التي كانت رائجة ومعتمدة من طرف لفيف من المتصوفة والفقراء بالغرب الإسلامي، فقد جاء في سؤال قدم للشيخ قاسم العقباني (ت.854هـ/ 1450م)، معلومات مهمة جدا ومفصلة عن الموضوع، وحسبما جاء في نص السؤال، فإن اجتماع الفقراء كان يعقد في الغالب إثر صلاة الجمعة عند شيخ مشهود له بالتقوى والقدرة على الاستنباط وفهم آداب المريدين، فيعمدون إلى الجلوس على يمينه، ويشرعون في التسبيح والتهليل معتمدين على سبحة منظومة في خيط، ليسهل عليهم بها ضبط عدد التسبيحات والتهليلات، ثم ينتقلون بعد ذلك إلى الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم،والسلام على سائر المرسلين، ثم يوكل إلى المنشد قراءة آيات من الذكر الحكيم ، يختتمه بالصلاة على رسول الله والحاضرون يرددون معه حال صلاته على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ثم يعمد الشيخ ونخبة مختارة من الحاضرين من ذوي الفضل إلى قراءة آيات من القرآن الكريم ، تتضمن طلبهم من الله العفو الوغفران، مثل: ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، وقوله تعالى: رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين، ويذكرون بعد ذلك أنواعا من الذكر والإستغفار، ثم يشرع المنشد في انشاد عدد من القصائد التي تتمحور حول مدح النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أو الحض على فعل الخيرات، والتحذير من الوقوع في الزلات، ويكون كل ذلك مدعاة للخشوع المصحوب بالبكاء والسكون والتذلل إلى الله سبحانه وتعالى، ثم يشرع قارئ آخر في قراءة كتاب الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى عليه

أفضل الصلاة وأتم السلام، فيسمعون ما يجب عليهم اتجاهه من واجب التعظيم، ثم يقرأ قارئ آخر بعض مجالس الصالحين، مستهدفا ومبينا من خلال ذكر سيرهم التعريف بأخلاق الصالحين والزاهدين، ثم يأمر الشيخ بعد انتهاء هذه الأذكار ومصافحة من حضر من الفقراء المريدين بإحضار الطعام ليأكل منه الحاضرون، والظاهر من نص السؤال أن بعض المشايخ هم من كانوا يتحملون مصاريف الإطعام الخاصة بمن حضر من المريدين الذاكرين، ثم بعد الانتهاء من الطعام يتم احضار الطيب ليتطيب به الشيخ فالحاضرون وهم في ذلك كله شاكرون لله معظمون له على ما أسدى لهم من نعم، ليكون ختام المجلس بقراءة السور القصار من القرآن ويختمونها بقراءة الفاتحة، ثم قراءة بعض ما ألف في توحيد الله تعالى، وبعد ذلك يدعو الشيخ ويؤمن الحاضرون، إلى أن ينصرفوا [1]

وقد جاء في نص سؤال الفقيه أبو العباس أحمد بن العجل الوزروالي[2] والذي تقدم به إلى الفقيه عبد الله العبدوسي ما يلي:" ..جوابكم رحمكم الله عن مسألة وهي أن عندنا جماعة بموضع منقطعين إلى العبادة من الصلاة والصيام، وقراءة القرآن، وتعليم أولاد المؤمنين، والسعي في قضاء حوائجهم والأرامل والأيتام المساكين،والإصلاح بين المسلمين مثابرين على ذلك، مداومين عليه، وفيهم رجل له عليهم شفوف العلم معه منه حظ وافر مما يحتاج إليه في دينه، من فقه وتصوف اتخذه شيخا في ذلك قدوة، وكلهم ظاهروا الخير صالحوا الأحوال، غير أنهم يجتمعون في المولد وشبهه للوعظ والتذكير، وربما أنشد لهم منشد أشعارا في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وفيما يناسب ذلك مما يحث على الطاعة، من غير اجتماع رجال ونساء في ذلك..."[3]

من خلال ما تقدم من أسئلة المستفتين المقدمة لفقهاء وعلماء الغرب الإسلامي يتضح لنا طبيعة الاجتماع للذكر وما يمكن أن يكون أُلحق به من بعض المجتمعين، وهو الموضوع الذي أسال حبرا كثيرا في أوساط النخب الدينية بالغرب الإسلامي، وهو ما سيتضح بيانه في ما يلي.

4. 1 موقف النخب الدينية من اجتماع المتصوفة للذكر

[1]- الونشريسي، 1981، ج11، ص ص 48،50.

[2]- أحمد بن العجل الوزروالي: قاضي المدينة البيضاء، ونائب مدينة فاس القديمة، قال عن الشيخ زروق: كان يختم القرآن كل أسبوع، .. والغالب عليه النحو والتصوف ، توفي سنة 856هـ/1452م، ينظر ترجمته في نيل الابتهاج للتنبكتي، 2004،ج01، ص 126،127.

[3]- المعيار،1981،ج11، ص 46.

لاقت الشعائر التي كان يعقدها المتصوفة تباينا بين النخب العالمة بالغرب الإسلامي ما بين فقيه متصوف مؤيد و فقيه سلفي معارض، وقد بين ابن خلدون جملة الاعتراضات التي ساقها بعض الفقهاء على مسلك التصوف في نص هام نورده كما هو، حيث يقول:".. ثم إن كثيرا من الفقهاء وأهل الفتيا انتدبوا للرد على هؤلاء المتأخرين في هذه المقالات وأمثالها، و شملوا بالنكير سائر ما وقع لهم في الطريقة، والحق أن كلامهم معهم فيه تفصيل ، فإن كلامهم في أربعة مواضع:

أحدها: الكلام على المجاهدات، وما يحصل من الأذواق و المواجد ومحاسبة النفس على الأعمال، لتحصل تلك الأذواق، التي تصير مقاما ويترقى منه إلى غيره كما قلناه.

وثانيها: الكلام في الكشف والحقيقة المدركة من عالم الغيب، مثل: الصفات الربانية والعرش والكرسي والملائكة والوحي والنبوة والروح، وحقائق كل موجود غائب وشاهد، وتركيب الأكوان في صدورها عن موجدها ومكونها كما مر.

وثالثها: التصرفات في العوالم والأكوان بأنواع الكرامات.

و رابعها: ألفاظ موهمة الظاهر صدرت من الكثير من أئمة القوم، يعبرون عنها في اصطلاحهم بالشطحات، تستشكل ظواهرها فمنكر ومحسن و متأول"[1].

ثم يتابع ابن خلدون حديثه مُبينا أن " الكلام عن المجاهدات والمقامات، وما يحصل من الأذواق و المواجد في نتائجها، ومحاسبة النفس على التقصير في أسبابها، فأمر لا مدفع فيه لأحد، وأذواقهم فيه صحيحة والتحقق بها هو عين السعادة"[2].

على أن هذا الرأي الذي يتبناه ابن خلدون، لم يكن محل إجماع بين فقهاء الغرب الإسلامي آنذاك، فقد انقسموا إلى تيارين متباينين، ولا مناص من الحديث عن ذلك بنوع من التفصيل الغير مخل، ودليلنا في ذلك المدونة النوازلية، وعلى وجه الخصوص كتاب " المعيار المعرب" للونشريسي، وهو كتاب جامع سيكون العمدة في تتبع أقوالهم واستعراضها.

نجد ضمن فريق المعارضين للاجتماع للذكر قسمين تباينا حول علّة التحريم:

[1]- ابن خلدون، 2010، ص ص 411،412.

[2]- ابن خلدون ، 2010، نفسه، ص 412.

الفريق الأول: عارض ما يلحق بالاجتماع للذكر من المنتحلين له، من الرقص والغناء واختلاط الرجال بالنساء وغير ذلك من البدع المستحدثة، غير أنه لم يعارض اجتماع المتصوفة ولا طريقتهم التعبدية في أساسها.

الفريق الثاني: تنبثق معارضته من معارضته لمسلك التصوف من أساسه، حيث رموا التصوف بكونه بدعة من البدع المستحدثة في الدين، التي شوهته وأضرت به، وأبعدته عن حقيقته وهدفه السامي، وليس خافيا أن خلافا قويا نشب بين الفقهاء النصيين أو السلفيين وبين الفقهاء المتصوفة في عديد القضايا والمسائل الدينية التي تباينت حولها مواقفهم، كمشروعية الاحتفال بالمولد النبوي الشريف وغير ذلك.

ففي فتوى لأبي عبد الله الحفار(ت 711هـ/ 1311م)[1] اعتبر مثل هذه الأمور من وسائل الجهّال والكسالى الذين يستغلون الدين وتعلق العامة به لأجل أغراض مشبوهة، يقول في هذا الصدد: "..وإنما حمل هذه الطائفة على ارتكاب هذه الطرق المهلكة في الدين أنهم لما احتاجوا إلى ما يحتاج إليه الناس من المأكل والمشرب والملبس وسائر المآرب التي يحتاج الإنسان إليها، ولم تكن لهم لا صناعة ولا حرفة يتعيشون بها، أو كانت وصعب عليهم الكد في طلب المعاش وتكلف الخدمة لخسة همتهم بركونهم إلى الدعة والراحة، فسوّل لهم الشيطان وزين لهم هذه الطريقة التي هي لهو ولعب، ولبّسوا فيها على الجهّال بالذكر الذي يفتتحون به مجالسهم ولبسوا المرقّعات، ونصبوها شبكة إذ كانت لباس الخيار من أهل هذه الطريقة، قبل أن تدخلها البدع والضلالات، وقالوا لهم: هذه طريقة الأولياء،وهي أقرب الطرق إلى الله وإلى نيل رضاه"[2].

ومن بين الفقهاء المناوئين لعوائد فقراء المتصوفة من الاجتماع للسماع وما يصحب ذلك من الرقص والتمايل نجد الفقيه أبو عبد الرحمن الوغليسي(ت 786 /1384م)[3] الذي نقل كلام بعض أهل العلم

---

[1]- أبو عبد الله الحفار: محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن سعد الأنصاري الشهير الحفار، الغرناطي إمامها ومحدثها ومفتيها الشيخ المعمر ملحق الأحفاد بالأجداد الفقيه الصالح العلامة، أخذ عنه ابن سراج و ابن عاصم وغيره، وأجازه ابن مرزوق الحفيد، وله فتاوى في المعيار من بينها " التحبيس على إقامة المولد ليس بمشروع"، توفي سنة 810هـ/1407م،ينظر، التنبكتي، 2004، ج02، ص ص 144،145، والونشريسي ،1981،، ج07، ص ص 99،101.

[2]- الونشريسي، 1981، ج11، ص 44.

[3]- فقيه أصولي،و محدث مفسر، مدة أهل زمانه وفريد عصره وأوانه ،شيخ الجماعة ببجاية، أخذ عن أبي العباس أحمد بن ادريس البجائي وغيره، ومن تلامذته أبو القاسم المشذالي، ينظر، محمد مخلوف، ،2014، ج01،ص 315

القاضي بكون ذلك بدعة وضلالة، لكن المتمحص في فتوى الوغليسي يجد أنهُ فرّق بين أهل الطريقة التصوفية الصادقين الذين يقع لهم عند السماع حالة من التواجد، وهم كما يصفهم" قد تخلصوا من مذام أنفسهم وقبائحهم، وقاموا على منهاج الشريعة "وبين بعض المنتسبين إلى أهل التصوف ممن" هو في غمرات الجهل، لم يستخلصن من أداء فرض، ولا اجتناب محرم، ثم يأكل حتى يمتلأ بطنه، ثم يقوم ويصفق ويشطح ويتمايل"[1]

مقابل ذلك نجد في المدونة النوازلية عددا من الفتاوى لعدد من علماء الغرب الإسلامي الذين لم يروا بأسا في هذه الطقوس والممارسات ذات البُعد الديني التصوفي، وهذا الرأي ينهض به الفقهاء المتصوفة حصرا، ومن بينهم على وجه الخصوص أبو عبد الله محمد إبراهيم المعروف بأبي البركات البلفيقي (ت 771هـ/ 1369م)[2]، وأبو محمد عبد الله بن العباس العبدوسي(ت776هـ/1374م)، الذي قدّم له الفقيه ابن زرول سؤال تضمن بعض السلوكات التي تمارس حال الاجتماع للذكر، ونظرا لأهميته نرى إيراده في المتن:"جوابكم رحمكم الله عن مسألة وهي أن عندنا جماعة بموضع منقطعين إلى العبادة من الصلاة والصيام، وقراءة القرآن، وتعليم أولاد المؤمنين، والسعي في قضاء حوائجهم والأرامل والأيتام المساكين، والإصلاح بين المسلمين مُثابرين على ذلك، مُداومين عليه، وفيهم رجل له عليهم شفوف العلم معه منه حظ وافر مما يحتاج إليه في دينه، من فقه وتصوف اتخذه أصحابه شيخا في ذلك قدوة، وكلهم ظاهروا الخير صالحوا الأحوال، غير أنهم يجتمعون في المولد وشبهه للوعظ والتذكير، وربما أنشد لهم مُنشد أشعارا في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وفيما يناسب ذلك مما يحث على الطاعة من غير اجتماع نساء ورجال في ذلك، وطعَن بعض الناس عليهم في ذلك، وقالوا هذه بدعة و منكر .."[3]، وقد كان جوابه موافقا لهم مؤيدا لما يقومون بهن حيث اعتبر اجتماعهم اجتماع طاعة مستحبة، تثمر خيرات من الخوف والرجاء والصبر والزهد، إلى غير ذلك من المقامات العلية، والأحوال السنية ... وما ذكرتم خيور محضة، لا تشوبها آفة، ولا تُكدرها مفسدة "[4].

---

[1]- الونشريسي، 1981، ج11، ص 34.

[2]- محمد بن محمد بن براهيم بن محمد بن ابراهيم البلفيقي، أبو البركات، الشهير بابن الحاج، شيخ المحدث والفقهاء والأدباء والصوفية والخطباء بالأندلس، أخذ عن جماعة من العلماء وله ديوان كبير سماه:" العذب والأجاج من شعر أبي البركات بن الحاج" كما نقل عن ابن خلدون/ التنبكتي، 2004، ج02،ص 85، 87.

[3]- ابن خلدون، 1981،ج11، ص 46.

[4]- الونشريسي، 1981، ج11،ص 47 .

غير أنه استثنى من ذلك ما قد يلحق بذلك من المعاصي من اجتماع النساء بالرجال، ودنو بعضهم من بعض، أو نظر محرّم ، أو تحريك لعب محرم، واشترط بالموازاة مع ذلك تصحيح النيات، لأنها الأساس في صلاح العمل وقبوله[1].

5. موقف ابن زاغو من الاجتماع للذكر على ضوء مخطوط جلاء الظلام:

واضح جدا أن هدف ابن زاغو من تدوين الكتاب كان الانتصار لمسلك المتصوفة ومذهبهم والتأصيل الشرعي لعوائدهم و على وجه الخصوص الاجتماع للذكر، وينطلق في ذلك من كون الاجتماع للذكر من الفروع الظنية التي يكفي في اثباتها ما يكفي في نظائرها من الأدلة الظنية الظواهر، فلا يجوز حسبه الطعن على أهلها، خشية تظليل الأبرياء، والوقوع في إذاية الأولياء[2]

وقد عقد بابا كاملا مخصصا لذكر النصوص الشرعية من الكتاب والسنة وأقوال العلماء الدالة على مشروعية الاجتماع للذكر، ناقلا في المستهل رأي من لقيه من العلماء دون ذكر لأسماءهم قائلا:" وقال بجواز الذكر بهيئة الاجتماع أكثر من لقيناه من العلماء المنتصبين للفتيا المعروفين بالعلم والعدالة، المرجوع إليهم في النوازل والأحكام ومن يليهم من المدرسين والمشاركين في العلوم، وأخبرني بذلك بعض كبار أشياخنا من الأئمة المفتين ممن رحل إلى المشرق، ولقي به الأفاضل أن أكثر أهل العصر على ذلك"[3]

مبينا في الوقت نفسه أنه "لما كان المقصود من الاجتماع على الذكر إنما هو التقرب إلى الله عز وجل والتعاون على البر والتقوى، والرغبة في ما عند الله والزلفى، وجب أن يقتصر في مجالسه على ما هو طاعة، وما هو معين على الطاعة، وأن ينزه عن الباطل وما يشبهه من الهزل واللهو واللغو والخوض في ما لا يُغني، وقد قال بعض الشيوخ المتصوفة:" مذهبنا هذا كله جد، فلا تخلطوه بشيء من الهزل""[4] فواضح جدا أن المؤلف استثنى ما يلحق بهذه الشعيرة من الاختلاط واللهو المستهجن، وهو الذي ارتكز عليه عدد من الفقهاء في تحريمه.

---

[1]- الونشريسي،1981، ج11،ص 47.

[2]- ابن زاغو، ورقة 2 و

[3]- ابن زاغو، ورقة 7 و

[4]- ابن زاغو، ورقة 19و

ثم يسترسل المؤلف في ذكر ما يجب على المجتمعين من القيام به قائلا:" وليكن الحاضرون فيه متواضعين متنزهين عن حظوظ النفوس كلها، غير متنافسين على شيء منها، كصدور المجالس والقرب من أهلها، وكذلك التثوب على المناصب والتقدم للمراتب بغير أهلية ولا استحقاق،.. وليكن المجلس مجلس رحمة وتواد وتحاب وخضوع لله وخشوع، نقيا من آلات اللهو بالكلية، ومن المحرمات والمناكر التي يطول ذكرها، كاختلاط الرجال بالنساء عند فقراء البوادي، وإنما يكون المجلس مشتملا على ذكر الله بسكينة ووقار، إلا عند غلبة الأحوال واستيلاء الواردات على الذاكرين حتى تأخذهم عن أنفسهم فذلك معذور فيه صاحبه، مسلّم إليه حاله، محمول على الصدق في ذلك "[1]

ثم يُطنب المؤلف في ذكر ما يجب أن يشتمل عليه الذكر من شعائر وطقوس معتمدا على عدد من النصوص الشرعية وناقلا من كتب العلماء كالمدونة للإمام سحنون بن سعيد التنوخي ومن كتب الإمام النووي والغزالي وابن عبّاد الفاسي، وترتيب المدارك للقاضي عياض، وغير ذلك .

وينتقل ابن زاغو إلى تعداد الفوائد المتوخاة من الاجتماع للذكر، ومن ذلك حضور الفقهاء والعلماء لهذه المجالس، ومنها اتخاذ موضع مخصوص لهذا الاجتماع ليعتاد به وينتدب الناس إليه، ومنها اتخاذ وقت من الأوقات لذلك أيضا، ومنها تخصيص الأئمة والصالحين بعض الأيام من الجمعة بنوع من القربات، وبزيارات الإخوان، أو افتقاد بعض أمورهم، أو يجعله يوم راحة من أشغال العامة، ومنها التصديق بما يعتري المريد والحاضر في مجلس الذكر من الأحوال والواردات ومن صعقة وغيبة وغير ذلك مما يكون به مأخوذا عن نفسه، والتسليم لأهله في ذلك كله أسلم والتصديق به ،وقد قال سيد الطائفة: "التصديق بطريقتنا هذه ولاية"[2]، وفي هذا السياق يدعو المؤلف إلى عدم تكذيب ما يعتري المريد من صعقة وغيبة، مُبينا أن" وكما لا يحل لأحد أن يفعل ذلك على وجه الرياء والسمعة، فكذلك لا ينبغي لأحد إساءة الظن بمن اعتراه ذلك، ولم يظهر عليه شيء من أمارات الكذب والتكلف"[3]، إلى غير ذلك من الفوائد التي يرى ابن زاغو أنها تحصل بالاجتماع للذكر.

وقد ذيّل ابن زاغو تقييده هذا بنصيحة للعامة والخاصة مُبينا فيها أنه قد :" وقع في هذا الوقت بسبب الإنكار على المجتمعين للذكر، أدواء عظم خطبها، وعسر طبّها من افتراق كلمة أهل الدين من

---

[1]- ابن زاغو، 19 ظ.

[2]- ابن زاغو، ورقة، 22 و ، 24و.

[3]- ابن زاغو ، ورقة 24 و

العلماء والصالحين وهم قوام عامة المسلمين،حتى اختلف العوام باختلافهم، ودواء ذلك قد جعله الله بيد العلماء، وقد كان الواجب على المنكرين في هذه المسائل أن ينظروا فيها بنور الله، وأن يشفقوا أولا على أنفسهم، وثانيا على أمة نبيهم صلى الله عليه وسلم،وذلك بأن يمعنوا النظر في ما أنكروه منها، ويستقصوا فيه الآثار والأخبار بقدر جهدهم وحينئذ يفتون ويقضون، ويعلمون بلطف،ويغيرون بغير عنف، ويُقّرون من أعمال هؤلاء الفقراء ما له وجه في العلم ومستند من الشرع"[1]

5. خاتمة:

يُعد موضوع التصوف بالمغرب الإسلامي من المواضيع ذات الأهمية البالغة، ويرجع ذلك إلى النقاش الفكري الذي أثاره على مستوى النخب الدينية آنذاك، و ما المخطوط موضوع هذه المساهمة إلا نموذج عن هذا الأمر

يُعد أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن ابن زاغو (ت 845هـ)، من علماء تلمسان المشهورين وسليل أسرة علمية مشهورة، أسهمت في مختلف مناحي الحياة بتلمسان والمغرب الأوسط، وعلى وجه الخصوص الجانب التعليمي والفقهي.

يمكن اعتبار مخطوط:" جلاء الظلام عن طريقة الأولياء الكرام ومن شاركهم في شيء من أعمالهم من الخواص والعوام" مصدر تاريخي ثمين، وذلك راجع لكونه المؤَلَف الوحيد الذي وصلنا من جملة مؤلفات ابن زاغو (باستثناء فتاويه)، ومن جهة أخرى ترجه أهميته إلى محتواه العلمي والذي يُعبّر عن موقف تيار المتصوفة وجملة الحجج والنصوص التي كانوا يرافعون بها من أجل التأكيد على مشروعية الطقوس والشعائر الممارسة من قبلهم، كالاجتماع للذكر مثلا.

اعتمد ابن زاغو في مؤلفه هذا، على عدد هام من المصادر التي تنوعت ما بين كتب التفسير وعلوم القرآن والحديث والفقه وأصوله، وكتب التزكية والسلوك، فضلا عن كتب السير والتراجم والمعاجم اللغوية، حاجج ابن زاغو عن مذهب المتصوفة،مركزا على التأصيل الشرعي من الكتاب والسنة النبوية، و

[1]- ابن زاغو، 30 و.

نقل كلام العلماء الكبار من فقهاء المالكية، بالإضافة إلى علماء مشارقة كالغزالي والنووي وأبو نعيم صاحب الحلية،

أثار جماعات المتصوفة الجدل بين النخب الدينية بالغرب الإسلامي، وأفرزت الشعائر والممارسات التي كانت تُقام تيارين متباينين: تيار الفقهاء المتصوفة ويمثله قاسم العقباني وابن زاغو ، وتيار الفقهاء السلفيين ويمثله ابن مرزوق الحفيد والشاطبي .

انعكست النقاشات بين التيارين على حركة التأليف كهذا المخطوط مثلا، والفتوى المتنوعة المشارب والتي حفزها لنا معيار الونشريسي، وهو ما يتيح للباحثين الإحاطة نوعا ما بالحراك الثقافي والديني الذي كان سائدا آنذاك .

6. قائمة المراجع:

المخطوطات:

- ابن زاغو، جلاء الظلام عن طريقة أولياء الله الكرام ومن شاركهم في شيء من أعمالهم من الخواص والعوام، مخطوط رصيد الخزانة الحسنية بالرباط، ضمن مجموع تحت رقم: 122343.

المصادر المطبوعة:

- ابن خلدون،عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر(2000) ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر ، لبنان.
- ابن خلدون،عبد الرحمن، المقدمة، (2010) دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر.
- ابن مرزوق الخطيب، المناقب المرزوقية،(2008)، دراسة وتحقيق، سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية.
- التنبكتي،أحمد بابا ،نيل الابتهاج بتطريز الديباج، (2004)، تحقيق، محمد علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، مصر.
- الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، (1966)، تحقيق، محمد ماضود، الطبعة02، المكتبة العتيقة، تونس.

- القلصادي، الرحلة،(1978)، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع.
- الونشريسي،أحمد بن يحي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب (1981)،تحقيق، محمد حجي وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية.

المراجع:

- ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، (1997)، الطبعة01، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،لبنان.
- الشاهدي ،الحسن،(2006)، التصوف والأدب الصوفي، مطبعة الأمنية، المغرب الأقصى.
- بسام كامل عبد الرزاق شقدان، تلمسان في العهد الزياني633هـ-962هـ/1235م- 1555م ماجيستر في التاريخ، جامعة النجاح،نابلس، فلسطين،2002
- بن داود نصر الدين،(2015.) أسر العلماء بتلمسان ومساهمتها في حضارة بني زيان، النشر الجامعي الجديد، تلمسان.
- الكتاني ،عبد الحي بن عبد الكبير، (1982)،فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، اعتناء إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي، لبنان.
- عمور ،عمر، (2007)،كشاف الكتب المخطوطة بالخزانة الحسنية، تقديم، أحمد شوقي بنين، منشورات الخزانة الحسنية، المملكة المغربية.
- – الجبوري ،كامل سليمان،(2002) معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى 2002، الطبعة01، منشورات دار الكتب العلمية، لبنان.
- مخلوف ،محمد ،(2014.)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، الطبعة01،المكتبة العصرية، لبنان.

المقالات:

- بوشريط، محمد (شتاء ربيع(أفريل) 2016/1438-2017)، ابن زاغو التلمساني وآثاره العلمية مجلة عصور الجديدة، المجلد 07، العدد 26.

المداخلات:

- بن داود، نصر الدين،زاوي، بوبكر،(2018)، إسهام أبو عبد الله الشريف في الحركة العلمية ببلاد المغرب من خلال مخطوط: مناقب أبي عبد الله الشريف وولديه عبد الله الغريق والولي الصالح سيدي أبي يحي عبد الرحمن لمؤلفه سيدي أحمد ولد سيدي أبي يحي بن أبي عبد الله، أعمال ملتقى البيوتات العلمية بتلمسان الزيانية: بيت الشريف وإسهاماته الحضارية، قسم التاريخ والمتحف العمومي الوطني للفن والتاريخ لمدينة تلمسان، وزارة الثقافة الوطنية.

7. ملاحق: الورقة الأولى من مخطوط: جلاء الظلام عن طريقة الأولياء الكرام